

تفسير البحر المحيط

@ 403 الاستفهامية هو بإلحاق هاء السكت ، إلا إذا أضيفت إليها فلا بد من الهاء في الوقف ، نحو : بحي مه . والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب ، كما تقول : أي رجل زيد ؟ وزيد ما زيد ، كأنه لما كان عديم النظر أو قليله خفي عليك جنسه فأخذت تستفهم عنه . ثم جرد العبارة عن تفخيم الشيء ، فجاء في القرآن ، والضمير في { يَتَسَاءَلُونَ } لأهل مكة . ثم أخبر تعالى أنهم { يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ } العَظِيمِ } ، وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وما جاء به من القرآن . وقيل : الضمير لجميع العالم ، فيكون الاختلاف تصديق المؤمن وتكذيب الكافر . وقيل : المتسأل فيه البعث ، والاختلاف فيه عم متعلق بيتساءلون . ومن قرأ عمه بالهاء في الوصل فقد ذكرنا أنه يكون أجرى الوصل مجرى الوقف ، وعن النبأ متعلق بمحذوف ، أي يتساءلون عن النبأ . وأجاز الزمخشري أن يكون وقف على عمه ، ثم ابتداء يتسألون عن النبأ العظيم على أن يضمير لعمه يتساءلون ، وحذفت لدلالة ما بعدها عليه ، كشيء مبهم ثم يفسر . وقال ابن عطية : قال أكثر النحاة قوله { عَنِ النَّبِيِّ العَظِيمِ } متعلق بيتساءلون ، الظاهر كأنه قال : لم يتساءلون عن النبأ العظيم ؟ وقال الزجاج : الكلام تام في قوله { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ } ، ثم كان مقتضى القول أن يجب مجيب فيقول : يتساءلون عن النبأ ، فاقتضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال ، والمجاورة اقتضاء بالحجة وإسراعاً إلى موضع قطعهم . وقرأ عبد الله وابن جبير : يسألون بغير تاء وشد السين ، وأصله يتساءلون بتاء الخطاب ، فأدغم التاء الثانية في السين . { كَلَّا } : ردع للمتسائلين . وقرأ الجمهور : بياء الغيبة فيهما . وعن الضحاك : الأول بالتاء على الخطاب ، والثاني بالياء على الغيبة . وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل ، أي سيعلمون ما يحل بهم . .

ثم قررهم تعالى على النظر في آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التي ابتدعتها من العدم الصرف ، وأن النظر في ذلك يفضي إلى الإيمان بما جاءت به الرسل من البعث والجزاء ، فقال : { أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مَهَادًا } ، فبدأ بما هم دائماً يباشرونه ، والمهاد : الفراش الموطأ . وقرأ الجمهور : { مَهَادًا } ؛ ومجاهد وعيسى وبعض الكوفيين : مهداً ، بفتح الميم وسكون الهاء ، ولم ينسب ابن عطية عيسى في هذه القراءة . وقال ابن خالويه : مهداً على التوحيد ، مجاهداً وعيسى الهمداني وهو الحوفي ، فاحتمل أن يكون قول ابن عطية وبعض الكوفيين كناية عن عيسى الهمداني . وإذا أطلقوا عيسى ، أو قالوا عيسى البصرة ،

فهو عيسى بن عمر الثقفي . وتقدم الكلام في المهاد في البقرة في أول حزب ، {
وَإِذْ كُفِّرُوا اللّٰهَ } . { وَالْجِبَالِ أَوْ تَادًا } : أي ثبتنا الأرض بالجبال ، كما
ثبت البيت بالأوتاد . قال الأفوه : % (والبيت لا ينبنى إلا له عمد % .
ولا عماد إذا لم ترس أوتاد .

. %)
{ أَرْوَجًا } : أي أنواعاً من اللون والصورة واللسان . وقال الزجاج وغيره : مزدوجين
، ذكراً وأنثى . { سُبَاتًا } : سكوناً وراحة . سبت الرجل : استراح وترك الشغل ،
والسبات علة معروفة يفرض على الإنسان السكوت حتى يصير قاتلاً ، والنوم شبيه به إلا في
الضرر . وقال قتادة : النائم مسبوت لا يعقل ، كأنه ميت . { لِبَاسًا } : أي يستترون به
عن العيون فيما لا يحبون أن يظهر عليه . { وَجَعَلْنَا النَّهَارَ } : قابل النوم
بالنهار ، إذ فيه اليقظة . { مَعَاشًا } : وقت عيش ، وهو الحياة تتصرفون فيه في
حوائجكم . { سِدْعًا } : أي سموات ، { شِدَادًا } : محكمة الخلق قوية لا تتأثر بمرور
الأعصار إلا إذا أراد أن عز وجل . وقال الشاعر : % (فلما جئته أعلى محلي % .
وأجلسني على السبع الشداد .
%) .

{ سِرَاجًا } : هو الشمس ، { وَهَّاجًا } : حاراً مضطرب الاتقاد . وقال عبد الله بن
عمرو . الشمس في السماء الرابعة ، إلينا طهرها ، ولهيبها يضطرب علواً . { مِّنَ
الْمُعْصِرَاتِ } ، قال أبي والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم وقاتل : هي